﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾ [الفرقان: 65 - 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الـرَّبْـطُ بَـيْنَ الـسُّـجـودِ والتَّـهَجُّدِ وبَـيْنَ شِدَّةِ خَوْفِ أَهْلِ الإيـمـانِ مِـنْ عَذابِ جَهَنَّمَ

لَمّا ذَكَر اللّهُ تَعالى تَهْذيبَ عِبادِ الرَّحمن لأنفُسِهم للخَلْقِ والخالِق؛ بيَّنَ أنَّه لا عُجْبَ عندَهُم بأَعْمالِهِم، بَل هُم خائفونَ، والحامِلُ لَهُم على ذلك الخوفِ هوَ الإيمانُ بالآخِرَةِ الَّتي كذَّب بها الجاهِلون، وأنَّهم قدَّموا الدُّعاء بالنَّجاة اهْتِمامًا بِدَرْءِ المَفْسَدَة وخَوْفًا من مواقَعَتِها، وإن اجْتَهَدوا في الأعمالِ الصّالِحَة، لِتَقْصيرِهِم عَن تَقْديرِ اللّهِ سُبْحانَهُ حقَّ قَدْرِه، فقالَ سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱصۡرِفۡ﴾: (صرف): تدورُ تصاريفُها على مَعْنى الرُّجوعِ، أو هوَ ردُّ الشَّيءِ من حالٍ إلى حالٍ، أو إبدالُهُ بغيرِه، ومِنْهُ: انْصَرَفَ القومُ، أي: رجعوا، ويَرِدُ الصَّرْفُ بمعنَى التَّوبَةِ؛ لأنَّه يُرْجَعُ بِهِ عنْ رُتبةِ المُذْنبينَ إلى حالِ الطّائعينَ[2]، ومِنْ هذا البابِ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: 164]، أي: تَحْويلُها من وجْهٍ إلَى وجْهٍ ومن حالٍ إلى حالٍ[3]، ومعْنَى قولِ اللّه تَعالى: ﴿ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾: ادْفَعْهُ عَنّا بالعِصْمَة من أسبابِه، ومَغْفِرَة ما وقعَ مِنّا مِمّا هو مقتَضٍ للعذابِ[4].

2) ﴿غَرَامًا﴾: (غرم): تَدورُ تَصْريفاتُها عَلى المُلازمَةِ، ومِنْهُ: الغريمُ، سُمّي بِذَلِكَ لِلُزومِه وإلْحاحِه[5]، وتقولُ العربُ: فلانٌ مُغْرَمٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 423.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرف)، والرّاغب، مفردات ألفاظِ القرآن: (صرف).
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (صرف).
(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 586.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غرم).

بالنِّساء، أي: يُحِبُّهُنَّ، ويُلازِمُهُنَّ ملازمَةَ الغَريم[1]، والمَغْرَمُ: ما يُلْزِمُهُ الإنسانُ نفسَهُ أو يُلْزِمُهُ غيرَهُ، ولَيْسَ بواجِبٍ عليه[2]، والغَرامُ في قولِ اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، هو العذابُ اللّازِمُ[3].

3) ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: القافُ والرّاءُ تدلُّ اشْتِقاقاتُها على ثَباتِ ما شأنُه التَّسيُّبُ، وامتِساكُه في قاعٍ عميقٍ[4]، ومِنْهُ القُرارةُ، وهي: ما بَقي في القِدْرِ بعد الغَرْفِ مِنْها[5]، سُمّي بذلك لاستقرارِهِ أسفَلَها، والقَرارةُ: كلُّ مطمئنٍّ انْدفع إِلَيْهِ الماءُ، فاستقَرَّ فيه[6]، والمُسْتَقَرُّ اسمُ مكانٍ مِنَ الفعل: استقرَّ، يقال: قرَّ بالمكانِ واستقرَّ: أقامَ فيه، فالمُسْتَقَرُّ: مكان قرارٍ وإقامةٍ[7]، والمستقرُّ في قولِهِ تَعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، هو القَرارُ والمَنْزِل، والمَعْنى: إِنَّ جهَنَّم ساءَت مَنْزِلًا وقَرارًا[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مواصَلَةُ الدُّعاءِ مِنَ السَّجَّدِ القائِمينَ بِالوِقايَةِ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ

من أحوال عبادِ الرَّحمن أنَّهُم الَّذين هُم مَع اجْتِهادِهِم في العِبادة يَخافونَ اللّهَ سُبْحانَهُ، فيَدْعونَهُ أَن يُنَجّيَهُم مِن عَذابِ جَهَنَّم؛ إِذْ إِنَّ عذابَ جَهَنَّم، كان دائِمًا لازِمًا، غيرَ مُفارِقٍ مَن عُذِّب بِهِ مِنَ الكُفّار، ومُهْلِكًا لَهُ، إِنَّ جهَنَّم شَرُّ قَرارٍ وإِقامَةٍ[9].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الآيَةِ بِما قَبْلَها:

مُراعاةُ التَّناسُبِ اللَّفْظيِّ والمَعْنَويِّ في الجُمْلَتَيْنِ

قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾

(1) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (غرم)، وأبو حيّان، تحفة الأريب: (غرم).
(2) أبو حيّان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: (غرم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غرم).
(4) محمّد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (قرر).
(6) الزَّبيديّ، تاج العروس: (قرر).
(7) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 1/ 124، والسّيوطيّ، نواهد الأبكار: 2/ 207، والقِنَّوجي، فتح البيان: 1/ 137.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 298.
(9) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 296 - 297، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 365.

معطوفٌ على قولِه سُبْحانَهُ قبلُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾؛ لاشْتِراكِهما في الخبريَّةِ، وبينَهُما مناسبَةٌ في اللَّفْظِ والمَعْنى، فأمّا المناسبة في اللَّفْظِ؛ فاتِّحادُهُما في الاسميَّةِ، مع ما في الجُملَتَيْنِ من اتِّحادٍ في الموصولِ (الذين)، واتِّفاق الصِّلَتَيْنِ في الفِعْليَّةِ المُضارِعيَّة، وأمّا المناسَبَةُ في المَعْنى؛ فلأنَّ كِلتا الجُملَتَيْنِ في بيانِ أَعْمالِ عِبادِ الرَّحمن.

دِلالَةُ إِعادَةِ المَوْصولِ (الذينَ):

أُعيدَ المَوْصولُ (الذين) في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾؛ لتأكيدِ أَنَّهُم يُعْرَفون بِمَضْمونِ الصِّلةِ؛ إِذْ مِن شأنِ الصِّلَةِ أَن تَكونَ مِمّا يُعرَفُ، ولا يُنكَرُ، وهذا دالٌّ عَلى شُهْرَتِهم بهذا الدُّعاءِ ولزومِهم لَهُ[1].

لُـزومُ أَهْـلِ الإيمانِ الدُّعاءَ بِـصَـرْفِ عَـذابِ النّارِ عَنْهُم

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَقُولُونَ﴾:

في التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَقُولُونَ﴾ مِنْ قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ دلالَةٌ عَلى التَّجَدُّد الاسْتِمراريِّ، وأنَّ هذا حالٌ ملازِمَةٌ لَهُم، يُكَرِّرونَها في جميعِ أَوْقاتِهم، وذَلِكَ يَقْتَضي عظيمَ خُضوعِهم وخُشوعِهم ودوامَ حَذَرِهم الدّائِم من عذابِ اللهِ سُبْحانَهُ مَعَ شَديدِ اجْتِهادِهم في طاعَتِه[2].

عِـظَـمُ خُـضـوعِ أَهْـلِ الإيـمـانِ وخُـشـوعِـهِـم دَلـيـلُ ورَعِـهِـم وخَشْيَتِهِم

سِرُّ الدُّعاءِ بِاسْمِ اللهِ (الرَّبِّ):

وقعَ الدُّعاءُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ باسْمِ الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضميرِ المُتَكلِّمينَ (نا)؛ لِلإشعارِ بأنَّ اللهَ سُبْحانَهُ الَّذي لم يَقْطَعْ إحسانَهُ عنهم في الدُّنيا حَريٌّ بأَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِم في الآخِرَةِ، بِدَفْعِ عذابِ جهَنَّم عَنْهُم[3].

دَوامُ إِحْسانِ اللهِ تَعالى لِعِبادِهِ يَعْكِسُ سَوانِحَ أَلْطافِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 70.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5314.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 423.

دِلالَةُ فِعْلِ الأَمرِ ﴿ٱصۡرِفۡ﴾:

الدَّلالَةُ عَلى الطَّلَبِ والدُّعاءِ مِنَ العَبْدِ الفَقيرِ لخالِقِهِ ومَوْلاهُ

﴿ٱصۡرِفۡ﴾ من قولِ الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ فعلُ أمرٍ، والمرادُ به التَّضَرُّعُ والدُّعاء؛ لِصُدورِ هذا الطَّلب مِنَ العِباد إلى رَبِّهم ﷻ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِفِعْلِ الصَّرْفِ ﴿ٱصۡرِفۡ﴾:

شِدَّةُ خَوْفِ المُؤْمِنينَ مِنْ عَذابِ اللهِ سُبْحانَهُ مَلْمَحٌ لِلتَّوَقّي مِنَ النّارِ

في التَّعْبير بفِعْلِ الصَّرف ﴿ٱصۡرِفۡ﴾ في قولِ الله سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ حالَهُم حالُ مَن يَتَصَوَّر أنَّ جهنَّم سَتَسْعى إلَيْهِم، وأنَّ بينَها وبينَهُم خُصومَةً؛ فسَألوا اللهَ تَعالى أن يَصْرِفَها عَنْهُم[1].

عِلَّةُ فصْلِ جُملَةِ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ عَمّا قَبْلَها:

كَمالُ انْقِطاعِ الجُمْلَتَيْنِ في اخْتِلافِهِما خَبَرًا وإنْشاءً

فُصِلَ قولُ الله تَعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ عَن جُملَةِ: ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾؛ لكمالِ الانْقِطاع بينَهُما، فإنَّ الجُملة الأولى إنشائيَّةٌ؛ لِكَوْنِها دُعاءً، والجملةَ الثّانيةَ خبريَّةٌ، وقد جاءت تَعْليلًا لسُؤالِ صَرْفِ عذابِ جهَنَّم عَنْهُم، سواءٌ أَجُعِلَت الجملةُ حكايةً مِن كلامِ القائلين، أَم جُعِلَت جملةً معترضَةً مِن كلامِ اللهِ سُبْحانَه[2]؟

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِفِعْلِ الكَوْنِ ﴿كَانَ﴾:

شِدَّةُ عَذابِ النّارِ ودَوامُهُ مِنْ أَشْنَعِ العَذابِ وأَبْشَعِهِ

في التَّعْبيرِ بِفِعْلِ الكَوْنِ ﴿كَانَ﴾، مِن قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ للدِّلالةِ على أنَّ هذا الوَصْفَ لازِمٌ لَها لا يَنْفَكُّ عنها بحالٍ، حتّى كأنَّها جُبِلَت عليهِ، وطُبِعَت[3].

عِلَّةُ فصْلِ جُملَةِ ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ﴾ عَمّا قَبْلَها:

دَوامُ عَذابِ النّارِ ومُلازَمَتُهُ

فُصِلَ قولُ الله تَعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ عمّا قَبْلَهُ؛

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10507.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 423، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 71، وابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 200.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 423.

لِمَجيئِه تَعْليلًا لاسْتِدْعائِهِم المَذْكورِ بِسوءِ حالِها في نَفْسِها إثْرَ تعليلِه بِسوءِ حالِ عَذابِها[1].

ويجوزُ أَن يكونَ فصْلُ هذهِ الجُملَةِ عمّا قبلَها؛ لِما بَيْنَهُما من كمالِ الاتِّصال، وذلكَ لأنَّ جملةَ: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مُؤَكِّدةٌ لمضمونِ جُملَةِ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ مع اختلافٍ في المَعْنى، وذلكَ لأنَّ ما أفادَتْهُ الجُملَةُ الأولى، مِن شدَّة عَذابِها ومُلازَمَتِه؛ أكَّدَتْهُ الجُملةُ الثّانية، بِما أفادَتْهُ مِن شَرِّ مُسْتَقَرِّها ومُقامِها[2].

وهذه الجملةُ - ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ يجوز أن تكونَ حكايَةً لكلامِ القائلين، فتكونُ تعليلًا ثانيًا، مُؤَكِّدًا لتعليلِهِم الأوَّل المَذْكورِ في قولِه سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، أو أن تكونَ مِن كلامِ اللّه تعالى دونَ الَّتي قَبْلَها، فتكونُ تَأْييدًا لِتَعْليلِ القائلين، ويجوزُ أَن تكونَ هيَ والَّتي قبلَها مِن كلامِ اللّه سُبْحانَهُ، فتكونُ الجملةُ تَكْريرًا للاعْتِراض[3].

دِلالَةُ التَّأْكيدِ بـ (إنَّ):

الإيماءُ إلى قُبْحِ العَذابِ وشِدَّتِهِ

أُكِّد قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ بـ (إنَّ)؛ لأنَّه قد لوِّح، وأُشير قبلُ إلى مَضْمونِ هذا الخَبَر، وشأنُ السّامع لذلكَ أَن يَسْتَشْرِفَ لَهُ اسْتِشْرافَ السّائلِ المُتَرَدِّد، فيكونُ التَّأكيدُ في هذا الخَبَرِ لتَنْزيلِ خالي الذِّهْنِ منزلَةَ المُتَرَدِّد، ووجهُ هذا التَّلْويح إلى مضمونِ الخَبَر: أنَّ عبادَ الرَّحمنِ لَمّا سألوا اللّهَ تَعالى صَرْفَ عذابِ جَهَنَّم عَنْهُم؛ كان هذا مُشيرًا إلى قُبْحِ هذا العذابِ وشِدَّتِه[4].

دِلالَةُ الجَمعِ بَيْنَ لفظي: ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ و﴿وَمُقَامًا﴾:

في الجَمعِ بينَ المُسْتَقَرِّ والمُقام في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّهَا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 229، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 45.
(2) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 200.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 71.
(4) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 200.

جَهَنَّمُ مُستَقَرٌّ لِعُصاةِ المُوَحِّدينَ، ومُقامٌ لِأَهلِ الكُفرِ

﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ إشارَةٌ إلى أنَّه ليس استقرارًا عارضًا، ولكنَّه إقامَةٌ دائِمَةٌ[1].

واسْتَظْهَر أبو حيّان أنَّ الجَمعَ بينَهُما هو على سبيلِ التَّوكيد؛ إذْ هُما مُتَقارِبانِ في دلالَتَيْهِما[2]، وذهبَ بعضُ أهلِ العِلْمِ إلى أنَّ الوَصْفَيْنِ باعتبارِ المُعَذَّب فيها؛ فالمُسْتَقَرُّ لعصاةِ أهلِ الإيمان، فإنَّهم يَسْتَقِرّون فيها استقرارًا بحسَبِ ذُنوبِهم، ولا يُقيمون فيها إقامَةً دائِمَةً؛ إذْ لا يُخلَّد أهلُ التَّوحيد في النّار إن دخَلوها بسبَبِ مَعاصيهِم، وأمّا المُقامُ؛ فهو لأهلِ الكُفْرِ[3].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5314.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 128.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 128.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»